



ISSN : 2335-1071

فصل الخطاب



ISSN: 2335-1071

مختبر الخطاب المحجّاجي
أحواله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون - تيارت

العدد الرابع عشر

*Laboratoire du discours argumentatif
ses origines, ses références ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret*

فصل الخطاب

ملف العدد:

- كفاءة وقدرة الأساليب الحجاجية في الخطاب الإقناعي
- المصطلح البلاغي واقع التوظيف وأبعاد التعليم
- رحلة الثقافة العربية من الشعر إلى الرواية
- استراتيجية القراءة ورؤى التحول في الكتابة الروائية المعاصرة
- جمالية اللغة في الحوار القرآني

جوان 2016

جوان

2016

Jun

Revue n°14

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Juin 2016

العدد 14

المجلد الرابع

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث
العلمية والنقدية واللغوية والأدبية والبلاغية
باللغتين العربية والأجنبية

Faslo El-Khitab

*Revue périodique a vocation scientifique, traitant
des domaines de la critique littéraire, la linguistique
et la rhétorique en langues arabe et étranger*

Revue N 14

Volume 04

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أسوله ومرجسياته وأفاقه في الجزائر
تسنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

العدد الرابع عشر

جوان 2016

ISSN 2335-1071 ردمد

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون - تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زمرورة - تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغيتين القديمة والجديدة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدى المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.
2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.
3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .
4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط (Traditional Arabic) قياس 14 في المتن و 11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط Times New Roman قياس 12 في المتن و 10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسييات والأشكال فتكون صوراً IMAGE .
5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحفظ المجلة بحقوقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .
6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .
7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصنيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

رئيس المجلة

أ.د. مدربيل خلادي

مدير جامعة ابن خلدون - تيارت

المدير المسؤول عن النشر

أ.د. زروقي عبد القادر

مدير مخبر الخطاب الحجاجي

رئيس التحرير: أ.د. بوزيان أحمد

هيئة التحرير

د. داود احمد	د. غانم حنجار
د. درويش أحمد	د. بوعرارة محمد
د. كبريت علي	د. قوتال فضيلة
د. كراش بخولة	د. مكينة جواد
أ. تركي محمد	د. عزوز الميلود

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. بوهادي عابد - جامعة تيارت	أ.د. فيدوح عبد القادر - البحرين
أ.د. مرتاض عبد الجليل - جامعة تلمسان	أ.د. خلف الجردات - المملكة الأردنية
أ.د. العشي عبد الله - جامعة باتنة	أ.د. بوحسن أحمد - المغرب
أ.د. حسن نعمي - المملكة العربية السعودية	أ.د. عباس محمد - جامعة تلمسان
أ.د. بشير بويجرة محمد - جامعة وهران	أ.د. آمنة بلعلي - جامعة تيزي وزو
أ.د. توفيق بن عامر - تونس	أ.د. سطمبول الناصر - جامعة وهران
أ.د. حسن البنداري - عين شمس - القاهرة	أ.د. خميسي حميدي - جامعة الجزائر
أ.د. دراوش مصطفى - جامعة تيزي وزو	أ.د. كوارى مبروك - جامعة بشار

الفهرس

05.....	كلمة رئيس التحرير.....
07.....	كفاءة وقدرة الأساليب الحجاجية في الخطاب الإقناعي (عبد الكريم ابزاري).....
27.....	المصطلح البلاغي واقع التوظيف، وأبعاد التعليم (عدة قادة).....
43.....	تعليمية النحو العربي وفق مستويات التحليل اللساني (أحمد بن عجمية).....
	رحلة الثقافة العربية من الشعر إلى الرواية،
55.....	هل هي حاجة فنية أم حاجة اجتماعية؟ (أحمد قليبية).....
67.....	جمالية اللغة في الحوار القرآني "التقديم والتأخير" (بكوش جميلة).....
79.....	أسلوب التشخيص في الشعر الجزائري الحديث (خميس رضا).....
89.....	من إيديولوجيا الروائي إلى إيديولوجيا النص الروائي (سليمان بلحسين).....
101.....	الرواية والشعرية، المفهوم والمصطلح (عبد دو راج).....
	معيّار الوحدة في القصيدة العربية القديمة،
117.....	نظرات في المسوغات النقدية (غانم حنّجار).....
	السمات الأسلوبية في شعر رمضان حمود،
127.....	وأثرها في بيان تعزيز الانتماء العربي (قاسم قادة).....
135.....	التوثيق النظري للأدب الإسلامي (مجاهد التامي).....
143.....	استراتيجية القراءة ورؤى التحوّل في الكتابة الروائية المعاصرة (سنوسي مها جميلة).....
155.....	لسانيات النص بين الطرح العربي والتنظير الغربي (يعقوب الزهرة).....
177.....	القراءة المستوياتية عند "عبد الملك مرتاض" (شرفاوي أمال).....
191.....	سيمائية التكثيف السردية في القصة القصيرة جدا (قوتال فضيلة).....
201.....	المعنى بين التوحد والتعدد والتبدد (مسعود كلالي).....

كلمة رئيس التحرير
بسم الله الرحمن الرحيم

أما قبل:....

في عددها الرابع عشر تصدر مجلة فصل الخطاب وهي تجابه معوقات عدة، ما إن تتخطى واحدة حتى تتبدى آخر متوالدة، متناسلة ومتكاثرة، وكأنها لا تريد أن تنتهي. ولكن بفضل عزيمة طاقمها الخفي، وجهود رجالها الذين يأبون إلا أن يتواروا في الظل، لأنهم يفضلون الخفاء على الجلاء، والضمور على الظهور، فبفضل هؤلاء ها هي أعداد مجلة فصل الخطاب تتوالى في حلة قشبية.

حاولنا أن نصف مقالات هذا العدد - على كثرة ما يصلنا منها بعد القراءة والتحكيم السري - وفق منظور ما هو متداول، من المفاهيم النقدية التي صارت متداولة وبسطت نفوذها، أثبتت وجودها، وفرضت نفسها على الحقلين الأدبي والنقدي، ثم باقي الحقول التي تتقاطع معها، كما ظلت هذه المفاهيم في حراك وتحول، الأمر الذي أدى إلى تنوعها، وكانت الثورة المعرفية بظهور اللسانيات وما تلا ذلك من تطورات منهجية ونقدية، امتدت لتشمل حقولا أخرى تبدو بعيدة عن حقول اللغة في المفهوم التقليدي لعلوم اللسانيات، كعلم النفس والاجتماع والنقد الأدبي، وغيرها من العلوم والمعارف المعاصرة. وبذلك جعلت من تحليل الخطاب عمدة أساسية لفهم وتحليل ومناقشة النصوص والقضايا والأفكار المطروحة، وفق ما تمليه حدود وميكانيزمات التلقي والتأويل، والتفكيك والتركيب، وكذا آفاق الحوار والتواصل.

وقد تطور اهتمام النقد المعرفي بموضوع التواصل عموماً، واللغة الإنسانية تحديداً. والحجاج تخصيصاً. وتأتي اللسانيات، هذا العلم المستجد، في طليعة العلوم التي نزعت إلى تحديد معاصرو علمي لمفهوم اللغة من خلال دراستها "بذاتها ولذاتها" وبغض النظر عن أية علوم أخرى؛ وسعت لاستجلاء مختلف وظائفها في تشجيع الفهم المتبادل ونقل التجارب الإنسانية والتعبير عن الفكر، أيًا ما كان هذا الفكر.

لذلك تسعى مجلة فصل الخطاب جاهدة إلى أن تقارب - من خلال مقالات السادة الباحثين - هذا الاضطراب المفهومي في الفكر العربي المعاصر. كما تسعى إلى أن الوعي بهذا الأشكال هو الأساس عملية فكرية أكثر مما هي مسألة تتعلق بمعرفة حدود المفهوم نفسه. بمعنى آخر يرجع هذا الاضطراب إلى أنه مسألة (أكاديمية) بحثة تتعلق بمعرفة بيانات المفهوم ومحدداته بقدر ما يرتد إلى عملية فكرية معقدة، ومشروطة بالضرورة تاريخياً ومعرفياً. أي بمن تنتج هذه المعرفة التي تأطرت في غياب وعينا ذاته، ثم بطبيعة المفهوم نفسه، وكما يحدد محمد مفتاح في كتابه: تحليل الخطاب الشعري، أبعاد العملية التواصلية في شقيها التواصلية ثم التفاعلية:

أما التواصل فيهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجاربه إلى المتلقي، وأما التفاعلي فيدعم مقولة أن الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للخطاب اللغوي، أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليه.

تسمح مقارنة الفكر العربي المعاصر لهذه الإشكالية بالتمييز بين جانبين أساسيين في عملية المثاقفة في استقبال الآخر، وعملية استيعابه، لتستحيل المقاربة إما إلى التوفيق أو التلفيق. فالتوفيق مذهب يقوم على المفاعلة والتفاعل، لا يجمع من الأفكار والآراء والمفاهيم إلا ما كانت وحدته مبنية على أساس معقول، أي حضور الذات في الموضوع، في حين يقوم مفهوم التلفيق على جمع ما لا يجتمع، بنوع من القسر ما بين معاني وآراء مختلفة في مذهب يبدو ظاهريا كأنه واحد، في حين تظهر للمفقه متفقة، بسبب عدم الكشف عن التناقض المندس في بنيتها، لذلك شتان بين التوفيق والتلفيق.

وها هي مجلة فصل الخطاب لسان حال مخبر الخطاب الحجاجي تستقطب الكتابات ذات القيمة المعرفية سواء داخل الوطن أو خارجه إيماناً منا ووفاءً لخطها المرسوم، لأنها تؤمن بأنه ليس ثمة حدود للمعرفة، وبأن الهم واحد وإن تعددت أقطارنا، مع الوفاء بأن نهج المجلة لا يتزاح عن تصور الحجاج في أبعاده المعرفية والتداولية والإجرائية، على أنه ليس ثمة فصل في المعرفة فري بنى متداخلة، يلزمنا أحيانا فقط الإجراء المنهجي قسرا في الفصل بين تخوم المعرفة التي غدت الجدود بينها رجراجة.

وهو ما سيلاحظه قارئ هذا العدد أو غيره من الأعداد السالفة من حضور للخطاب الأدبي بمختلف التوجهات والدراسات النقدية التي تبنته سواء إبداعا أو تنظيرا كما هي الحال في رحلة الثقافة العربية من الشعر إلى الرواية، و الرواية والشعرية، المفهوم والمصطلح، معيار الوحدة في القصيدة العربية القديمة، التوثيق النظري للأدب الإسلامي، والسمات الأسلوبية في شعر رمضان حمود، ومشهدية التصوير في شعر المقاومة الفلسطينية، والقراءة المستوياتية عند "عبد الملك مرتاض"، كما إن الخطاب الحجاجي لم يكن غائبا - كالعادة - وقد تمثل في كفاءة وقدرة الأساليب الحجاجية في الخطاب الإقناعي، كل ذلك دون إهمال منا للشق البلاغي خاصة الذي حضر في مقالات متنوعة وهي: المصطلح البلاغي واقع التوظيف، وأبعاد التعليم، وجمالية اللغة في الحوار القرآني وأخيرا مقال لسانيات النص بين الطرح العربي والتنظير الغربي.

نأمل أن تصلنا جهود أخرى في دراسات أخرى تثرى حياتنا المعرفية. ونحن هنا ندعو المشتغلين بمختلف الحقول المعرفية التي تصب في حقل الدراسات النقدية إلى أن مجلة فصل الخطاب ستكون فضاء مفتوحا لهم حيثما كانوا ودونما إقصاء.

الأستاذ الدكتور: أحمد بوزيان

والله نسأل أن نكون مثما يريدنا أن نكون

التوثيق النظري للأدب الإسلامي

الطالب: مجاهد التامي

إشراف الأستاذ الدكتور: أحمد مسعود

جامعة أحمد بن بلة 1 - وهران - الجزائر

جامعة أحمد بن بلة 1 - وهران - الجزائر

تقوم هذه الدراسة على أساس أن المادة الأدبية التي تشكل الجذور التراثية للأدب الإسلامي موجودة حقيقة ثابتة، تؤكد النصوص الشعرية والنثرية في تراثنا الأدبي، وعليه ينبغي أن نقف عند هذه الأعمال الأدبية التي تمثل التصور الإسلامي، حتى نستطيع ترسيخ المنهج الأدبي الإسلامي وفق الأصول العلمية.

Abstract

This study aims to prove that the literary material that forms a basis for Islamic literary heritage is unchanged reality and poetry flourished in the literary heritage. For this, it must be addressed knew those literary works that constitute the Islamic design in order to consolidate the methodology of Islamic literature according to scientific bases.

يبدو من الطبيعي جدًا أن يتوافر المجتمع الإسلامي على توجه خاص يميز أدبيته عن باقي أدبيات الأمم الأخرى لعلّه بتوافره على تلك الخصوصية في طرائق الانفعال بواقعه يستطيع أن يبلغ أسباب ابتداء أدب إسلامي صرف ينبع من صميم قناعاته الروحية المتشعبة بالرؤية الإسلامية لأنّ الوظيفة الأدبية عامّة مشتملة في بعض جوانبها الخفية على الوظيفة الإعلامية، وإذا لم يسعف أن يتلاءم جانب الإعلام مع الجوانب الحركية الأخرى في المجتمع أصابه الخلل، وتحامته التناقضات، وانحلت قوى الازدهار الحضاري في أوساطه.

ويكون من الطبيعي جدًا أن يشاكل الأدب الإسلامي شعره ونثره كثيرًا من خصائص آداب الأمم الأخرى فلا يفترط في أن يتلبّسه التفكيرين الخرافي والأسطوري وكيف لا تكون تلك الإحالة موضوعية في ثبوتها التاريخي وقد وجدنا الآيات القرآنية ذاتها تحيل على الغواير من مثل أخبار عاد وثمود والذين أهلكوا بالطاغية وسدّ مأرب والحضارات الموهلة أخبارها في القصص التعجيبية البالغ السحرية وكذلك هناك مسارد لأخبار الجنّ والشياطين بل تتخذ منها مداخل لإمساس طبيعة أدبية تختصّ بضروب من التوقيع البلاغي المرتكز على دلالات التعجيب والإدهاش، وبالرغم من عمق قناعتنا باستحالة كثير من الأخبار والروايات التي يقف التشريع

تاريخ تسليم البحث: 08 فبراير 2016.

تاريخ قبول البحث: 15 ماي 2016.

التوثيق النظري لأدب الإسلاميين

القرآني، ذاته مكذباً لقصصها فإن من طبيعة كل الحضارات الأدبية الإنسانية أن تختص أولوياتها على تلك الضروب الروايات الأسطورية.

وحسب هذا التزوع الإغرابي الذي يتجذر كل خصيصة أدبية إنسانية أن يقوم دعامة تحفظ لإيقاع التخيل والتشبيه والمبالغات التصورية مصداقيتها الانفعالية المبررة لكثير من جوانب الممارسة الأدبية الإسلامية وغير الإسلامية.

إننا نرى إلى الأدبية الإسلامية على أنها سلوك ثقافي واجتماعي متكامل الأداء بالتوافق مع باقي النشاطات الحيوية الأخرى في سيرورة المجتمع الإسلامي عبر التاريخ، ولقد صادف أن نشأت جملة نزوعات أدبية إمتاعية نبعت أسسها الفنية من صلب تفاعل المجتمع العربي الإسلامي خاصة فيما يتعلق بتضافر الشفوية العربية مع النشاطين اللغوي والبلاغي حتى أكسب ذلك الاختصاص تميزاً لأدبية الأمة العربية الإسلامية منذ القديم وجهة تعبيرية أو لنقل فنية إمتاعية خاصة متناغمة مع خصوصيات المجتمع العربي الإسلامي تتغذى من نبضه، وتتوشح بعلاماته، وكان أحرى بالعلماء أن يحافظوا على ذلك المسار المتميز الخاص المبني على القناعات الأدبية والفلسفية والتاريخية ليمنحوا الأبعاد الإبداعية في ذلك المضمار طاقة متنامية الأسباب، إلا أن الذي حدث هو العكس فلقد خلدت الذات العربي وخفت صيتها، بعدما اعتورها من الوهن والنقص والاضمحلال والتلاشي، إلى الركود والتخلف عن أسباب الريادة في مبادئ الإبداع العلمية والأدبية، وإذا كان تاريخ هذه الأمة العربية الإسلامية حافلاً بالفتوحات المعرفية الواسعة العبر والدلالات والإنجازات العلمية الرائدة، فإن الأدب بكل متبعاته الإبداعية سوف يبقى هو أفضل تلك الميادين قرباً من طاقة الحس العربي، فلقد أوتيت منابع هذا الحس العربي سليقة أدبية أو شاعرة انطلاقاً من أوليات الانفعال بالظاهرة الأدبية الإسلامية الجديدة التي تفاعلت فيها الوظيفتين الأدبية والعقائدية، لذلك وخلافاً عن اللغات الإنسانية الأخرى فإن اللغة العربية مستمدة طاقاتها الشعرية أو لنقل الأدبية انطلاقاً من مكوناتها المميزة، ويستفحل هذا الأمر ويقوى هذا الاعتقاد حتى يخول لنا أن كل ناطق بهذه اللغة مجيد لاستعمالاتها الأساسية لا يخلو من أن تكون له مسكة من أدبية وفن ومعرفة بتحسس مواطن الجمال في الكون واللغة والتصور والخيال، " وهذه هي اللغة الشاعرة في حروفها قبل أن تتألف منها كلمات، وقبل أن تتألف من الكلمات تفاعيل، وقبل أن تتألف من التفاعيل بيوت وبحور"¹

لم تذعر الذات العربية ولم يصيبها ذلك القلق في أي شيء من ممتلكاتها الدنيوية زعرها وقلقها بإمساس الدين لمقدساتها الأدبية أو التي كانت تشكل لديها كل التوجهات العلمية والمعرفية البالغة الحساسية في حياتها، ومن ثمة فقد هبت الذات الأعرابية الجاهلية تذود عن

بقائها ووجودها والدفاع بكلّ ما أوتيت من أسباب القوّة عن تراثها الإبداعي الذي كان يمثل حياتها ولم تخلد إلى شيء من فرص المهادنة إلّا بعد أن عثرت لها على مبتغيات فنية وجمالية من خلال ركونها إلى الاعتراف بمبدأ الأمر الواقع الجديد الحاصل فقد كان لاعتراف الوليد بن المغيرة شيء من تلك القناعة الطارئة التي لينت القلوب وطمأنتها، وهذأت النفوس، وبناء على هذا الاعتقاد فقد كان لأدبية القرآن الحظّ الصائب في جعل جلود الأعراب تلين فتسمع مقاصد الدين الجديد وتلين له، لقد اطمأنت النفوس الأعرابية التي تربّت على قنوات أدبية وجمالية جاهلية إلى كون هذا الدين يخاطبها بروح أدبية أتت من وراء النفوس هيأ لها كلّ مقومات التعبير البلاغي المناسب لقناعاتها الجمالية في الحياة، وقد انبنى على هذا التحوّل الطارئ أمور بالغة الأهمية أهمّها كيف استوى للأعراب أن يفرطوا في تراثهم البلاغي والشعريّ ملتحقين بمقومات أدبية نافستهم السيطرة على قوى الإبداع، واستمدّت بضاعتها من معين ما كانوا يعتزّون بالتفرد في حيازته والتفوق فيه، ولقد خاطبهم سحر البيان القرآني الطارئ بتبنيّه للمجازات النائية المغدقة بفنون التصوير والتّخيل الهادم لما طالما تحقّظت وتسترّت على تجاوزه طقوس العادة الجاهلية، وقد كان لا سبيل إلى إنشاء الأدبية العربية الحديثة إلّا بحصول القنوات الهادمة لتقاليد البلاغة الجاهلية وكان أن باغتهم بلاغة القرآن في حصونهم المشيدة طيلة الحضارات العربية البائدة وزعزعت وجودهم وركنتهم إلى الوراء، وكان أن جنى العرب من قرآنية القرآن مجاني بالغة الأهمية حققت لهم الفتوحات الخالدة في مجال التّوليد الأدبي الجديد من ذلك تجاوز حدود التّصوير الاستعاري التقليدي إلى ما هو أبلغ وأطغى وأبدع وأهم حين تنزّلت الآية: (إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعتها كأنّه رؤوس الشّياطين)، فكان المتأوّلون يقتدّرون بهذا القدر من التّبعيد المجاري الكاسر لحدود التّحقّظ التقليدي الذي طالما حدّ من حرية انفعال الذات العربية بدلالات الكون والحياة والنفس الإنسانية معا على أنّه "... لو كان شيء أبلغ في الزّجر من ذلك لذكره... والنّاس لا يفرّعون إلّا من شيء هائل شنيع قد عاينوه أو صوّره لهم واصف صدوق اللّسان، بليغ في الوصف، ونحن لم نعاينها ولا صوّرها لنا صادق وعلى أن أكثر النّاس من هذه الأمم لم يعاين أهل الكنائس، وحملة القرآن من المسلمين ولم تسمع الاختلاف، ولا يتوهّمون ذلك ولا يقفون عليه ولا يفرّعون منه، فكيف يكون ذلك وعيدا عامّا؟ قلنا: وإن كنّا نحن لم نر شيطاننا، ولا صوّر لنا صادق بيده ففي إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان ..."²، ومن هنا وانطلاقا من هذه المناسبات الأدبية الطارئة التي جاءت به أدبية القرآن فقد سلك الدين الجديد مسلك واضحا في التأسيس لجمالية أدبية تضافرت فيها الحضارة العربية مع الروح الإسلامية منتجة سمات العهد الجديد وفق الرؤية الإسلامية الجديدة.

لقد كان موضوع الإعجاز مثار إرهابات نقدية وإيحاءات لفظية نهت العقل العربي إلى ضرورة التعاطي مع نتائج الوعي التي أفرزها اختلاط العقلية العربية الجاهلية بثقافة الدين الإسلامي المتنزل على أفئدتهم، وكان لزاما على الحسّ الأدبيّ العربيّ أن يتأثر تلك المتغيّرات الروحية الممتدة آثارها الوظيفية إلى مدارك العقل وانفعالات الحسّ، ومن ثمة فقد أثرت أدبية القرآن عبر تنوّع مظاهر تجلّيها في تأسيس قواعد الانفعال البلاغيّ الجديد والذي يمكن أن تتمثله اليوم على أنّه كان يمثل حسا تطوّريا تحديثيا بالنسبة للمنجزات الجاهلية، لقد كانت القناعتان الدينية من جهة والأدبية من جهة أخرى تتسايران وتتناغمان ضمن مؤدّى ثقافي عقيدي متكامل الوظائف والأهداف والغايات، لقد جلبت الديانة الإسلامية الطّائرة منهج حياة متكامل الأداءات لم ينتقص من طموحات العربيّ شيئا، بل كان مساعدا على إغناء التجربة وإثرائها، وتنوع مصادر الثقافة بالإضافة إلى الطّاقة الإبداعية التي أوجدها في نفسية العربيّ، فلقد كان دينا يتأسّس على التّغريب في الإبداع والتّطوّر وإعمال صفاء الفطرة باعتبارها شرعة الله التي فطر النّاس عليها

يشهد واقع الحياة ويصدّق أنّ ثمة مجالات حيوية مختلفة هي التي تستثير الدّات الأدبية وتجذبها لتتفاعل مع تلك المعطيات الواقعية أو الخيالية، ولكن على أن يبقى لكلّ تجربة إطارها العمليّ الخاصّ بها المستوعب لمصادقية حاجة الواقع إلها، وما أضّر شيء بالأدب والفنّ والجمال مثلما أضّر به سوء تقدير أبعاد الأمور، فقد ظلّت بعض العقول المتحرّجة التي توقف بها الزمن ترى إلى الأدبية على أنّها مشاكلة في إجراءاتها ووظيفتها بما تقوم عليه الفكرة الدّينية جاهلة أنّ لكلّ طبيعة تفكير مضمار نجاعة ونجاح لا يغادرها، فلا يراد من الشّعراء ما يراد بالأنبياء، وربّما فهم بعض الفقهاء المحسوبين على الحركة الأدبية خطأ بعض الالتزامات التي يختصّ بها مضمار الإبداع الأدبيّ، وربّما كان هذا التفكير الضيق هو الذي أوحى للبقلائي في إعجاز القرآن بأن يقارن بين القرآن والشعر حتّى دفعته حماسة الدّود عن فضائل قرآنية القرآن والتّعصّب لها بأن توأم ما بين الاختصاصين وذلك منهاج مشين، ومذهب ناقص، ورؤية زائفة، والأعدل في توحيّ تلك أن يرى لكلّ خصّيصة بمعزل عن الخصّيصة الأخرى فلا تختلط الأوزان، وتتداخل الاعتبارات، وربّما كان قد فات القدماء الذين بنوا مناهجهم على مراعاة القوانين الأخلاقية وتقديسها أنّ حقول الدّلالة الأدبية نسبية تعترض سبيل واردها الزلّ والالتباس لأنّ مصدر الدّلالة الأدبية القلب والقلب قلب واللّسان خائن، والمضنّات قائدة إلى الافتراء والشكّ والتّغليط، وأمّا شرعة الدين فقد تركها الرّسول صلّى الله عليه وسلّم على المحجّة البيضاء التي ليلها كنهارها، ولعلّ هذا التّوحيّ والتشابه ما بين الاعتبار بالتفكير الديني والاعتبار بالتفكير الأدبي هو الذي ورط القدماء في كثير من المآزق الأخلاقية التي من شدة

تعارضها مع مبادئ الإمتاع والتّفنّ والمباهاة، ولنا في مقولة الأصمعي وهو أحد العلماء الذين تطبّعوا على روح الثقافة الجديدة: الشّعور بمعزل عن الدّين، خير شاهد على مدى ترسيخ قيم ثقافية أدبية صارت تعطي ما لله ولله وما لقيصر لقيصر، ونرى أنّ التّفكير الإنساني في كثير من المناسبات كان هو المنقذ لسيرورة التّلاؤم ما بين الأدبية والدينية بالنّظر إلى بثّ الله في طبيعته من قابلية فائقة لتقدير الأمور، وتدبّر الحقائق بالفطرة " ... ومعنى هذا أنّ الإنسان هو الموجود الذي يملك أن يتعقّل ذاته دون أن يفكر في شيء آخر غير ذاته... " ³ وتلك الرّوح والمعيارية الفطرية الطّبيعية هي التي أنطقت الوليد بن المغيرة في تمييزه خصوصية إيقاع بلاغة القرآن باعتباره أحد أعلام الأدبية الجاهلية الطّاغية وقد أهّلته ثقافته الراسخة لأن يعاين فارق الاعتبار بين الكونين: كون الأدبية الجاهلية وكون قرآنية القرآن.

لقد أسهم وعي الواقع عبر كلّ أبعاده المؤطّرة لحركيته الواسعة المتشعّبة من التّفطّن لحدود اللّعبة المجازية، حيث أصبح في الاعتبار أنّها ليست الحقيقة هي الوحيدة بإفادة الخطاب، فالمصدقية التّأثيرية قد تتولّد من طابع الشكّ والإيهام والترّدّد الذي تشحن به الأخبار الأدبية ، ومصادقا لهذا المنهج التّفكيري فقد حظي موضوع الإسناد بأهمية متميّزة في حيّز الدرس البلاغي وبالتّحديد تحت اصطلاح: أحوال الإسناد الخبري، وقد تدعّم هذا التّفهم العميق لأجواء التّعبير بأنّ تفهم النّاس حقيقة الوظيفة الإخبارية انطلاقا من الواقع، فقد يصدر الإخبار عن متردّد، أو عن خائف، أو عن متحمّس، وقد يقع الإخبار بالرّمز، والإلماح والتكنية، ثمّ تثبّت العارفون بطرق البلاغة والإبلاغ أنّ بعض التّوقعات الدّلالية تزيد فائدتها وتقوى كلّما خالفت التّصريح المباشر بالحقيقة، فالمجاز في كثير من الاعتبارات الواقعية والأدبية أبلغ من الحقيقة، ولقد صار النّاس يتساءلون مفتونين بحدود الدّلالتين في حيّز البلاغة القرآنية على أن ملخّص تلك التفاعلات التي أثّرت حول مرامي وأبعاد الخطاب القرآني أنّ القرآن سعى في كلّ تفاصيل آياته إلى إسعاد الإنسان تعبيراً وتصويراً وتخيلاً وحكاية وإشارة وصراحة وبلاغة، ولقد ترتّب على توجّس البلاغيين من إثارة فتنة القول في هذا الموضوع أنّ بنوا الفائدة اللّغوية أو الكلامية على ما يترتّب عليها من تحمّل مسؤولية الإخبار على الاعتبارين الحقيقة العقلية والحقيقة المجازية على أنّهم وصلوا الاعتبارين بفائدة حقيقة الإخبار ونقل الأخبار ورواية الحديث وتفصيل الحكاية حيث اشترطوا الامتياز العقليّ في كلّ تلك الوظائف ⁴.

لقد تمثّلت القاعدة التبعية التي توقّع بها الدّلالات المجازية في الأعراف العربية محدودة بجملة علاقات معرفية لا يتعدّى وعيها المعطيات الواقعية البيّنة، لذلك لا يعدو التشبيه في أوج إيقاعاته الدّلالية المعنوية بأن يتّبع قاعدة إلحاق ناقص بتام، وغائب بحاضر، ثمّ ما فتئت الآية أن انقلبت وأعطيت الدّات بسموّ لطائفها في العطاء الرّوحيّ أن تجاوزت تلك

الأعراف، وطوّرت تلك القواعد، فارتأت مظانّ توقيعية تصويرية تخيلية أهلتها لنيل مراتب دلالية إمتاعية هي غاية في الفنّ والجمال فقد صارت قاعدة التشبيه تتوسّل كلّ مناسبة وتقتفي كلّ حسن حتّى صار الغائب مشبّها بالغائب والناقص منظورا إليه تاما لاعتبارات روحية نفسية يمكن استغناء الذات الأدبية المبدعة أن تتجاوز خلالها المعطيات العقلية المنطقية الواقعية إلى شيء من بلاغة السّحر والتّعجيب والإطراف، ثمّ ثبت في الحسن الأدبيّ أنّ تشبيه الناقص بالناقص والغائب بالغائب هو ضرب من الموافقات الحسية الوظيفية في الحياة لجأت الأدبية العربية الجديدة إلى أن تستقيها من تفاعلات الحياة العربية في أوج تناقضاتها الروحية والحسية والمعرفية، ثمّ تبين بعد ذلك أن لا حدود للاعتبارات الإنشائية فالدلالة الأدبية وخاصة منها الشعريّة قادرة على التّفاذ إلى عمق المظاهر، مثلما يكون في أصل ابتداعها أن لا يتقيّد بقاعدة تصوّرية أو تفكيرية معيّنة، وعندها تثبت قاعدة أنّ الاعتبار بالغيبيات أبلغ وأطغى من الاعتبار بالمرئيات والشّواهد المادية، حيث استطاع الحسن الأدبي الاهتمام إلى اكتشاف مناطق انفعال جديدة هي التي منحت غناء التّخيل والتّصوّر والانفعال بقيم الحياة جميعها بدون تحقّظ أو تمييز، حتّى ثبت بما يدع شكّا أنّ المراهنة على توظيف الدلالات الغيبية الأكثر تعقيدا وسحريّة أبلغ من المعايينة.⁵

والذي هو جدير بالملاحظة أنّ الدّرس البلاغي ازدان بالمؤثّرات الجمالية التي أفادتها أساليب القرآن الكريم، بل لعلنا لا نخطئ الصّواب إذا قلنا: لقد غدا موضوع الإعجاز فاتحا لأفق تصوّري فكريّ استحوذ على القسط الأوفر من اهتمامات البلاغيين العرب، لذلك فقد كان لزاما على كلّ خائض في سياق بحث التّوجّهات البلاغية الجديدة التي أثارها التّصوّر الإسلامي أن يعتبر بالقضايا القرآنية ذات الصّلة المباشرة بقضايا الإعجاز، وقد صار للبلاغة طرفان: "أعلى إليه تنتهي وهو حدّ الإعجاز، وما يقرب منه، وأسفل منه تبتدئ وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيح الإعراب، وبين الطّرفين مراتب كثيرة متفاوتة"⁶، وأمّا ما يجتنى من هذه التّعليمات والتّحديدات فهو اتّساع الفارق المباين بين مراتب الإبداع والإجادة في حقل التّعبير البلاغيّ وهي فضاءات تتفاعل ضمنها القرائح، وتتنافس في مضاميرها العقول، وحتّى وإن بدت لنا معلّمة مرسّمة التّهاية فإنّها تبقى مجرّد إيهاب بتلك الغاية لأنّ يوضع الإعجاز القرآني في الرتبة العليا والمكانة الأسى بعيدا عن اجتهادات الأدباء وتداول الغاوين.

ويعتبر موضوع الإعجاز من ناحية خفية من أبرز العوامل التي ألهمت أحاسيس البلاغيين ليس مجاراة لمناجزة الأسلوب القرآني، بل لأنّ موضوع الإعجاز كان كفيلا بأن ينهّهم إلى سعة ميدان السّبق واستفاضته على قوى التّجريب التي تتّسع لاستيعاب الكفاءات

الإبداعية اللامتناهية الحدود، إذا فلا سبيل إلى الاعتبار ببعض المقولات المتعجرفة التي ترى في حدّ سقف الإعجاز البلاغيّ خطأ أحمر يقصر على الأدباء والشعراء ليبقوا أبدا متخوفين من الطّموح إلى نيل المقاصد العزيزة الشريفة التي حواها القرآن الكريم، فالإعجاز كان سبيلا إلى إشعار أطراف الخطاب أو المرسل والمرسل إليه إلى ضرورة التحلي بالنسبية فليس ثمة حدّ تحجب أفق الإبداع عن متعاطيه، وواضح جدّا أنّ لهذه المسألة البلاغية الإبداعية مستتبعات دراسية أخرى قوامها الفصاحة والخطابة والبيان والبديع والمجاز وهي في جملتها مرتكزات فنية جمالية تشعبت علومها واستبانت فنونها بحلول مرحلة التآدّب القرآني أو التّربية الفنية الجمالية المستندة إلى روح الدّين الإسلاميّ، لأنّ في تناسب اللّغة مع الواقع وعدم إجرائها على التّطابق يكون الحسن المبدع قد ضمن له الانفعالات الواسعة الرّوى، فقد التبس الفكر بالرّوى وتشاكل الواقع بالوهم فكان ذلك من الأنسب لازدهار المعاني المجازية ومن ثمة ارتقاء الحسن الأدبيّ ليحرّب تفعيل بعض القيم التي كانت في منأى عن حيازته إياها.

إنّ الذي كان يعطلّ قوى الإبداع في المرحلة الأولى التي هي مرحلة التّقييد هو احتراز الأدباء والشعراء من الوقوع في الخطأ اللّغوي فقد كانت المرحلة مرحلة عقلية لم تدم طويلا ونرى أنّ سبب سيطرتها على حيّز زمنيّ بعينه مردّها إلى الاحتراس العقلي والنّقلي الذي تميّزت به مرحلة ترسيخ المرجعيات الدّينية من قرآنية وفقهية وتاريخ وسير، ثمّ ما فتئ الرّمان أن أبان عن نهج حضاريّ متملّك لكلّ أسباب الثقة في النّفس والتعويل عليه، فكان كفيلا بأن يمنح النفوس والعقول كثيرا من الاطمئنان والرّصانة إلى انتهاج مقدّرات الثقافة العربيّة الإسلامية الجديدة.

ولقد أفادت شدّة الاهتمام والاحتراس عند العلماء والأدباء معا سواء حبّ التّفهم والاستيعاب بسلوكهم سبيل تتبّع أصول المقاصد خاصّة وأنّ الأحكام الفقهية كانت تجري ذات المجرى وتنهج ذات النّهج، فالاشتغال بإحصاء مواطن الإعجاز وتعيين سمات التّفاوت بين القرآن والأدب بشقيّه: النّثري والشّعري مفازة إلى اكتساب الوعي المعرفي النّقدي المتعمّق للظواهر الإبداعية فتشقّقت العلوم وازدهرت الأفهام وغنيت التجارب، واستدام ذلك التفاعل المثمر بين الإبداع من جهة والنّقد التطبيقي الوظيفي من جهة أخرى، فكان ذلك المسعى أو التّوجّه كفيلا بأن ينتج جملة اعتبارات نقديّة فلسفية هي التي نراها أسّست لعلم الجمال أو الفنّ العربيّ الإسلاميّ لأنّ ما كان لذلك أن يحدث لولا حصول التّلاقح المتين العميق والأصيل بين علوم الدين وعلوم الأدب، وبناء على هذا التّوجّه التّلاقحي بين الدين والأدب فقد اجتهد علماء أجلاء في ميدان ما يشبه التّشريع الجمالي فبرزت إلى الوجود جملة من القيم الأدبية الأخلاقية من أبرزها موضوع الصّدق والكذب أي الحامل والمحمول " .. فالعلم كلّهُ قسمان:

جوهر حامل، وعرض محمول ولا مزيد، ولا ثالث في العالم غير هذين القسمين، هذا أمر يعرف بضرورة العقل وضرورة الحسن...⁷.

وإذا كان هذا الضرب من الوعي النقدي في نظرنا جازًا للتفكير الأدبي لأن يخالط مبادئ الفلسفة والمنطق فلقد أفاد من حيث لم يقصد إثارة مبادئ التفكير الفلسفي المولّد للاعتبارات الفنية والجمالية التي بدأت تتسع طرائقها وتترسّخ تقاليدها الأدبية من خلال التجربة الأدبية لأن تلامس غايات إنسانية جديدة وتفتح آفاقًا واسعة.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1: العقّاد، اللغة الشاعرة، مطبعة الخانجي، بمصر، ص: 13
- 2: الجاحظ، الحيوان، مج: 2، تح: يحيى الشامي، دار مكتبة الهلال، ط: 1990/3، ص: 427
- 3: د. زكريا إبراهيم، مشكلات فلسفية، مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، ص 51
- 4: ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: د. محمد عبد المنعم خفاجة، مج: 1، دار الجيل بيروت لبنان، ط: 3 / 1993، ص: 66/65
- 5: المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، ج: 2، ص: 79
- ⁶: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: د. محمد عبد المنعم خفاجة مج: 1، دار الجيل بيروت لبنان، ط: 3 / 1993، ص: 47/46
- 7: أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج: 5، تح: د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن عميرة، 1985، ص: 161